الإسلام والغرب: العودة مجددا إلي سؤال الهوية أو السياسات

13-8-2005

غير أن النقاش الحالي يعكس نوعا من الإرتباك والتخبط حيال كيفية تشخيص المسألة، بينما الحل الأسهل هو توظيف الصور النمطية عن الإسلام وأمور من قبيل كيف يفكر الانتحاري والعقل المسلم وغيرها من المسائل، التي حين يعود الإعلام والأكاديميا لاستخدامها، فإنها تعكس رغبة واعية ليس لمعرفة الأسباب الحقيقية، وإنما لتجاهل السبب الحقيقي الذي من أجله يستهدف الجهاديون الغرب.

بقلم أميمة عبداللطيف

لماذا يستهدف "الجهاديون" الغرب؟ سؤال من فرط تكراره أصبحت ربما الإجابة عليه من قبيل تحصيل الحاصل. ولكن في دراسة حديثة نشرتها جريدة كريستيان ساينس مونيتور تستطلع فيه رأي مجموعة ممن أسمتهم "خبراء الإسلام السياسي" أضافت الصحيفة للسؤال خيارين: هل إن الاستهداف بسبب "من نكون" أم بسبب "ما نفعل"، وهي بذلك تعود للمربع الأول حول سبب الهجمات ضد الغرب، وهل تكون بسبب الهوية أي مثلما يردد الرئيس بوش ومن ورائه معظم قادة الغرب الآن وآخرهم توني بلير "بسبب أسلوب حياتنا وثقافتنا وقيمنا وحريتنا"، أم بسبب "ما نفعل من سياسات".

تكشف الدراسة عن أنه ثمة انقسام مازال قائما في دوائر الغرب الأكاديمي حيال تشخيص الأسباب التي تدفع بشن هجمات ضد الغرب. فهناك مجموعة من الباحثين والدراسين ترى بأن الأمر ليس سوى جزءا من "حرب الحضارات أو الأيدلوجيات، ليس للغرب أي خيار فيها سوى أن يجابهها بكل ما أوتي من قوة، لأن أي أسلوب آخر سيفهم على أنه تراجع عن الهوية والقيم الغربية". أما أولئك الذين يؤمنون بالنظرية التي ترى بأن العنف الحاصل ليس سوى نتيجة منطقية لما يفعله الغرب سيما الولايات المتحدة في أراض الإسلام، فإن الإجابة هي أنه على الولايات المتحدة أن تمتنع عن الأفعال التي من شأنها أن تثير مخاوف المسلمين المسالمين وتغذي مشاعر العنف. وسبب قوة هذه النظرية الآن هو ما يواجهه الأمريكيون في العراق، الأمر الذي دفع بوزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد لأن يطلب من المسئولين العراقيين بتسريع فكرة أن تتولى القوات العراقية بعضا من المهام الأمنية عن الأمريكيين.

اعتبر البعض أن ذلك التصريح إنما يعكس حالة من التوتر المكتوم بسبب الضغوطات المتزايدة على القوات الأمريكية في العراق. وهناك فريق ثالث يرى بأن حقيقة الدوافع التي تحرك المسلحين تشمل كلا النظريتين، الأمر الذي يجعل من الصعوبة بمكان عملية وضع حلول لمواجهة هذه الهجمات فكريا. فمدير مركز دراسة الإرهاب والعنف السياسي بكلية سانت أندروز بسكوتلندا يرى بأن السؤال ليس متعلقا بالهوية أو السياسات كدافع للهجمات، وإنما هناك مزيج من الاثنين. ولا يقلل هؤلاء الأكاديميون من أهمية النقاش حول أي من هذه الأسباب هي التي تدفع بالمسلحين لاستهداف الغرب، لأنه يمكن من خلال ذلك معرفة أي من الأفعال من شأنها أن

تقلل من العنف، أو أن تجعل الأمور أكثر سوءا. يقول جوان كول أستاذ تاريخ دراسات الشرق الأوسط بجامعة ميشيجان أن السؤال المهم هو "كيف تقلل من حجم وعدد القواعد التي ينطلق منها هؤلاء وهي أشبه بالبحر". ويعتبر كول أن ما فعلته الحرب ضد العراق لم يكن سوى عاملا مساعدا على زيادة عدد هذه القواعد، فالبحر ازداد اتساعا.

ووفق هذه الرؤية لم تكن هجمات لندن في يولية الماضي إلا بسبب العلاقة بين الولايات المتحدة وبريطانيا في حربهما على العراق واحتلالهما له. ولكن في الوقت ذاته، فإن هجمات التي تمت ضد مدينة شرم الشيخ تثبت نظرية صراع الحضارات. فهده المدينة هوجمت بسبب كونها تحولت لمرتع للسائحين الأجانب في بلد مسلم. ويقول أحد الأكاديميين بنظرية أخرى، وهي أن تيارين يعملان بشكل متواز، فبينما يتم محاربة "العدو القريب"، كما هو الحال عند حدوث هجمات في بلدان إسلامية مثل مصر أو المغرب، فإن هناك من يعمل على مهاجمة "العدو البعيد"، وهو في هذه الحالة المعسكر الذي تقوده الولايات المتحدة بالأساس بسبب دعمها للنظم العربية "الكافرة".

والنقاش حول "ما فعلناه من سياسات" مقابل "ما نمثله من قيم وهوية"، ربما هو العنوان الأساسي الذي تدور حوله نقاشات الأكاديميين الغربيين الآن، بعدما ظل الأمر ولفترة طويلة، من قبيل المحظور الاختلاف مع أصحاب نظرية "صراع الحضارات"، مثل عالم الاجتماع الفرنسي أوليفييه روا الذي لا يزال يصر على أن الصراع هو بين من يرون الإسلام ذو قوة عولمية ومسيطرة ضد غرب ديمقراطي وعولمي أيضا. وهو يعتبر أنه وفقا لهذه النظرية، فإن العراق تبدو "وسيلة دعائية مناسبة لتجنيد الشباب المسلم بمافي ذلك المتغربين منهم".

في حين يري آخرون مثل مؤلف كتاب "الموت من أجل الفوز: المنطق الإستراتيجي للإرهاب الانتحاري"، بأن الأمر لا يتعلق بالدين وإنما "السياسات الأمريكية هي من يغذي العنف الإسلام"، بل هو يذهب إلى حد اعتبار أن استمرارية وجود القوات الأمريكية على أراضي المسلمين كما هو الحال في العراق، يزيد من فرص تكرار هجمات مماثلة لتلك التي وقعت في الحادي عشر من سبتمبر.

غير أن بعضا من هؤلاء الباحثين يجد صعوبة في تفسير دوافع الهجمات وحصرها بالسياسات فقط، وهم يتساءلون إذا كان الأمر يتعلق بالسياسات لماذا لم تقع هذه الهجمات من قبل، فإن بعضا من السياسات الأمريكية المجحفة بحق الشعوب الإسلامية والتي شكلت من قبل حالة من الغضب في المنطقة مثل التأييد المستمر لإسرائيل، والذي استمر لحقب طويلة لم يخلف حالة من العنف بمثل ما حدث الأن. لم يجد أحدا إجابة مقنعة لهذا السؤال، غير أن النقاش الحالي يعكس نوعا من الإرتباك والتخبط حيال كيفية تشخيص المسألة، بينما الحل الأسهل هو توظيف الصور النمطية عن الإسلام وأمور من قبيل كيف يفكر الانتحاري والعقل المسلم وغيرها من المسائل، التي حين يعود الإعلام والأكاديميا لاستخدامها، فإنها تعكس رغبة واعية ليس لمعرفة الأسباب الحقيقية، وإنما لتجاهل السبب الحقيقي الذي من أجله يستهدف الجهاديون الغرب.

للعودة للأعلى